وَسَائل صَيد أخرىٰ

تدور الوسائل التى يستخدمها الصادة اجتلابًا للقوت، أو طلبًا للهو والارتياض، بين ما سخرَّه الله تعالى للإنسان من الحيوان والطير، وبين ما اخترعه هو لنفسه واستحدثه بحيلته.

وقد مضى الحديث عما يتصل بالحيوان والطير من الضوارى والجوارح، وبقى أن نتحدث عن وسائل أخرى نذكرها فيما يلى:

الزُّبى:

جمع، مفرده زُبية - على مثال غرفة - وهى الرابية التى لا يعلوها الماء، وفيها يتزبَّى[1] الرجل للصيد. وتحتفر للذئب ولكل سبع، أو هى للأسد خاصة، وهم يغطون رأسها بما يسترها يخدعون بها الصيد فيقع فيها.

وفى الزُّبى ورد المثل العربى «بلغ السيل الزُّبى» يضربونه لكل ما جاوز الحدّ. وقد ورد هذا المثل فى كتاب بعث به سيِّدنا عثمان - رضى الله عنه - إلى سيدنا على - كرم الله وجهه - قال فيه: أما بعد، فقد بلغ السيل الزُّبى وجاوز الحزام الطبيين».

---

(١) تزبى بورن تعنى يختفى

الاحتراش:

يقول العربي: حرشَ الضب، واحترسه وتحرشه، بمعنى: صاده. وذلك أن من يريد اصطياد الضب، فإنه يجيء فيحك الجحر الذي هو فيه، يتحرش به، فإذا أحسه الضب، حسبه بعباناً، فأخرج إليه ذنبه ليضربه به، فينتهز المحارش الفرصة فيقبض على الذنب بسدة لا يقدر معها الضب على الإفلات.

ومما يضيفونه إلى الضباب على سبيل التخيل - جارياً مجرى الأمثال - ما رووه الأصمعي في تفسير المثل «أجل من الحرش» وبيان ذلك أن الضب إذا ولد ولدًا حذره الحرس، فبينما هو وولده في تلعة[1]، سمع الحسل[2] وقع محفار على فم الجحر فقال لأبيه: يا أبه، أهذا الحرش؟ قال الضب: يا بني هذا أجل من الحرش؛ فجرت مثلا يضرب للعالم بالشيء يعلمه من لا يعلم.

والحرس - أيضا - الخديعة ومنه حديث المسور في شأن معاوية - رضي الله عنهما -: «ما رأيت رجلاً ينفر من الحرس مثل معاوية». يريد بالحرس الخديعة.

ومن هذه المادة «التحريش» وهو إغراؤك الإنسان ليقع بقرينه، تقول فلان يحرش بين الأصدقاء، تعني أنه يسعى في إغراء بعضهم ببعض وتوهين الصلات بينهم.

والتحريش منهي عنه شرعًا ولو كان بين البهائم وهو أن يهيج بعضها على بعض، كما يفعل أهل اللهو بين الجمال والكباش والديوك. وفي الحديث

---

(١) التلعة: ما ارتفع من الأرض.

(٢) ولد الضب.

النبوى الشريف: «إن الشيطان قد يئس أن يُعبد فى جزيرة العرب ولكن التحريش بينهم» أى فى حملهم على الفتن والحروب.

الاختداع:

ومن وسائل الصيد اختداع طير الماء، الذى يغتذى بالسمك فهو أبدًا على وجه الماء يلتمس رزقه.

وطريقة صيده، أن الصادة يأتون مناقع الماء ومواضع الطير، فيأخذ الواحد منهم قرعة يابسة ضخمة فيرمى بها فى ذلك الماء، فإذا دفعتها الريح إلى جهة الطير فزع منها، فإذا كثر ذلك عليه أنس، فلا تزال الريح تقربها منه وتباعدها عنه، ولايزال هو يزداد بها أنسًا، حتى ربما سقط الطائر عليها. والقرعة فى كل ذلك إما واقفة فى مكان لا تتعداه، وإما ذاهبة جائية. فإذا رأى الصادة أن الطير لا تنفر منها، أخذوا قرعة أُخرى أو أخذوها هى بعينها فقطعوا موضع الإبريق منها ثم خرقوا فيها موضع عينين، ثم أخذها أحدهم فأدخل فيها رأسه، ثم دخل الماء ومشى فيه إلى الطير رويدًا رويدًا فكلما دنا من طائر قبض على رجليه ثم غمسه فى الماء ودق جناحه وخلاه، فبقى طافيًا فوق الماء يسبح برجليه ولا يطيق الطيران، وسائر الطير لا تنكر انغماسه، فلا يزال الصائد على ذلك حتى يأتى على اخر الطير. فإذا لم يبق منها شىء، رمى القرعة عن رأسه، فتسارع زملاؤه إلى جميع الطيور يلتقطونها ويحملونها.

القسى:

وإذ قد كان الفهد سبع الضوارى، وكانت العقاب سبع الجوارح، فإن القوس سيّدة ما وراء هذين من أدوات الصيد، ولهذا لا نرى مندوحة عن العناية بها عناية تتسق مع قيمتها فى باب الصيد، فنقول وبالله تعالى نتأيّد.

القسى جمع، مفرده قوس: آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام وربما كنوا عنها بالشجرة التى تتخذ منها كما فى قول المرقش الأصغر:

رمتك ابنة البكرى عن فرع ضالة[١] وهن بنا خوص يخلن نعائما
تراءت لنا يوم الرحيل بوارد[٢] وعذب الثنايا لم يكن مُتراكما

يعنى الشاعر أن هذه المرأة رمته عن عينيها بنظرات كالسهام، وهو مسافر مع رفقته على إبل سراع يخالهن الناظر لسرعتهن نعامًا. ثم أضاف إلى وصف عينيها ونظراتها أنها قد تراءت لهم يوم الرحيل فى شعر طويل وثغر عذب نضيد.

وقد وصف الشماخ بن ضرار الغطفانى - رضى الله عنه - قوسًا عربية فى ذات تسعه وخمسين بيتًا من عيون الشعر، وصف فيها حمر الوحش والصائد والصيد والقوس والسهام، وصفًا لاتفرغ منه إلا وفى نفسك سؤال تذهب النفس فى جوابه كل مذهب: ماذا كان يمكن أن يقول الشماخ لو تهيأ له أن يصف طيارة أو دبابة أو صاروخًا عابرًا للقارات، وقد بقى له ذوقه العربى الأصيل دون أن تفسده الحضارة التى تدمِّر الذوق وتبلبل الوجدان؟

وقد شرح قصيدة الشماخ هذه العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطى، فى الديوان الذى طبعته مطبعة السعادة بمصر-القاهرة سنة ١٣٢٧هـ. فى حين أن بعض الذين تناولوا شعر الشماخ بالشرح شغلتهم العناية بتخريج الأبيات وتتبعها فى مختلف المصادر، عن العناية بتجلية المعانى وتوضيحها.

على أن الأستاذ محمود شاكر تناول بالشرح الوافى ثلاثة وعشرين بيتًا

---

(١) كى بفرع لضالة عن عيب

(٢) لوارد الشعر الطويل

من هذه القصيدة، فى رسالة بعنوان «القوس العذراء» ترجم فيها للشماخ فذكر أنه يسمى معقلا، ويكنى «أبا سعيد» وأنه شاعر فحل، وأنه صحابى جليل أدرك الجاهلية ثم أسلم، وأنه أحد عوران قيس الخمسة من فحول الشعر: ابن مقبل، وابن أحمر، والشماخ، وحميد بن ثور الهلالى، والراعى النميرى، وكذلك ذكر أن الشماخ كان وصّافًا، أجاد صفة حمر الوحش، حتى إن الوليد بن عبد الملك عندما أنشد شيئًا من شعره فيها، قال: ما أوصفه لها، إنى لأحسب أحد أبويه كان حمارًا.. وذلك لأنه كأنه كان يتدسّس فى ضمائر الحمر فينطقها بما تكتم.

وقد غزا الشماخ فى فتوح عمر - رضى الله عنه - وشهد القادسية، ثم غزا أذربيجان مع سعيد بن العاص، فاستشهد فى غزوة «موقان» سنة أربع وعشرين من الهجرة على عهد عثمان رضى الله عنهما.

قال الشماخ:

تخيّرها القوّاس من فرع ضالة ... لها سذب من دونها وحواجر[١]

تمت فى مكان كنها فاستوت به ... فما دونها من غيلها متلاجز[٢]

فما زال ينجو كل رطب ويابس ... وينغلّ حتى نالها وهو بارز[٣]

فأنحى عليها ذات حد غرابها ... عدو لأوساط العضاه مشارز[٤]

---

(١) الضال: سجر ينبت منه السهام كالنبع. أصغر طيب الرائحة. السذب: الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجر.

(٢) كنها: سترها فى كن. الغيل: الشجر الملتف، يسكنه الأسد ويحميه. سجر متلاحز: متضايق دخل بعضه فى بعض.

(٣) ينجو: يقطع ما يؤذى. ينغل: يدخل فى شىء متلاحم على مسقة. بارز: ظاهر للشمس.

(٤) أنحى عليها: أقبل يقطعها. غراب: لأنس حدها. لعضاه: سجر عظيم ذو شوك. مشارز: شرس سيىء الخلق.

فلما أطمأنّت فى يديه رأى غنى ... أحاط به وازورّ عمن يجاوز[١]

فمطّعها عامين ماء لحائها ... ونظر منها أيها هو غامر[٢]

أقام الثقاف والطريدة درأها ... كما قوّمت ضغن الشموس المهامر[٣]

وذاق فأعطته من اللين جانبًا ... كفى: ولها أن يغرق السهم حاجز[٤]

إذا أنبض الرامون عنها ترنّمت ... ترنُّم ثكلى أو جعتها الجنائز[٥]

هتوف إذا ما خالط الظبى سهمها ... وإن ريع منها أسلمته النواقر[٦]

كأن عليها زعفرانًا تميره ... خوازن عطار يمان كوانز[٧]

إذا سقط الأنداء صينت وأشعرت ... حبيرًا ولم تدرج عليها المعاوز[٨]

---

(١) زور: مال وأعرض من محور من يخالطه من أصحابه الذين فى حورته

(٢) مطعها: وضعها فى الشمس لتشرب ماء لحائها. اللحاء: قشر العود. عمر العود: جسه ليظر أبى هو ويقيمه

(٣) الثقاف: خشبه فى طرفها خرق يسع للقوس، فتدخل فيها وتغمر حتى تسوى. الطريدة: قصبة مجوفه خشبه الجوف تدخل فيها القوس لتبرى قشرتها. الدرء: العوج. الشموس: الغوس العصية الجموح. المهامر: ما تنخس به الدواب لتستقيم. تقويم ضغنها: تأديبها حتى يلين قيادها.

(٤) ذاق: جربها ليختبر شدتها أو ليها كفى: أى كاف لا يريد عن الحاجة. يغرق السهم: يستوفى جذبه فيمن، فربما قطع السهم يد الرامى. يقول: لها حاجز من القوه والصلابه يمنع ليها أن يبلغ به الرامى إلى يغرق السهم.

(٥) أنبض: لقوس جذب وبرها، فإذا أطلقه نبض ورنّ. الثكلى: التى مات ولدها. الجنائز: جمع جنازة وهو الميت نفسه هنا.

(٦) هتوف: ذات صوت عال، وقد حذف جواب إذا لأنه رأى أنه معلوم لا شك فيه. والمعنى: أن سهمها إذا خالط الظبى مات على موضعه، وإن ريع ودعر خذلته نواقره فلم تحمله. النواقر: قوائمه التى ينقر بها، أى يضمر.

(٧) الزعفران: نوع من الطيب أصفر، تتزين به النساء ولا سيما فى الأعراس. تميره: تصب فيه الماء لتذيبه. الخوازن: النساء التى تخزنه. الكوانز: التى تكنزه فى وعاء. وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته.

(٨) الأنداء: بلل الصباح. أشعرت: ألبست. الحبير: ثوب موشى من الحرير الناعم. المعاور: لثياب الخلقة يلبسها المساكين، يعنى أنها تصان بالحرير وليس بالخلقان.

وما أحسبك - حفظك الله - بعد أن تمثلت هذه الصورة على هذا النحو الرائع إلا معجبًا متعجبًا، مدركًا السر فى كون معجزة رسول الله ﷺ هى القرآن الكريم، الذى تحدى به أُولئك العرب من أُمراء الفصاحة وملوك البيان.

السِّهام:

جمع، مفرده سهم: عودٌ يتخذ من شجر الضال وشجر النبع، ثم يسوى، ويركَّب فى طرفه نصل ثم يرمى به عن القوس. والعرب تصف نصال السهام بالزرقة لشدة بياضها وصفائها، على ما يقول الشمّاخ أيضًا فى القصيدة التى وصف فيها القوس:

قليل التلاد غير قوس وأسهم ... كأن الذى يرمى من الوحش تارز[١]

مطلًا برزق ما يداوى رَمينها ... وصفراء من نبع عليها الجلائز[٢]

وكذلك يقول امرؤ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال[٣]

وليس بذى رمح فيطعننى به ... وليس بذى سيف وليس بنبّال[٤]

---

(١) قال الخطيب التبريزى: تستعمل العرب لفظ القليل قاصدة نفى الكل. وهذا كما يقال: فلان قليل الاكتراث. يعنون أنه لا يكترث. وليس يراد به إثبات قليل من كثير. والتلاد: المال القديم الموروث. والتارز: الذى يبس فى مكانه ومات.

(٢) الزرق: السهام فى شدة بياضها. الرمى: المرمى. النبع: شجر تتخذ منه القسى. أصغر: الجلائز: عصب يلوى على القوس ليشدها من غير عيب بها.

(٣) المشرفى: السيف المنسوب إلى مشارف الشام. المسنونة: نصال الرماح. الأغوال: جمع غول، وتشبيه النصال بأنياب الغول من قبيل التهويل، وفى القرآن الكريم: «طلعها كأنه رءوس الشياطين».

(٤) ينفى عنه أنه فارس يطعن بالرماح، أو شجاع يضرب بالسيف، أو رام يرمى بالنبال، فهو لا تخشى غائلته.

الجلاهق :

قوس تتخذ من القنا ويلف عليها الحرير وتعرّى، وفى وسط وترها قطعة دائرة تسمى الجوزة، توضع فيها البندقة عند الرمْى.

وكما وصف الشماخ القوس العربية، وصف أبو الفرج البَبّغاء الجلاهق هذه، فقال:

ومرنان[1] معبسة ضحوك ... مهذَّبة الطبائع والكيان
مغالبة وليس بها حراك ... وباطشة وليس لها يدان
تطير مع البزاة بلا جناح ... فتسبقها إلى قصب الرهان
وتدرك ما تشاء بغير رِجل ... ولا باع يطول ولا بنان
لها عضوان من عصب وعظم ... وسائر جسمها من خيزران
يخاطب فى الهواء الطير منها ... بلفظ ليس يصدُر عن لسان
فإن لم تضع أردتْها بطعن ... ينوب الطين فيه عن السنان
كأن الله ضمنها فنابت ... لنا فى الرزق عن أولى ضمان
إذا ما استوطنت يومًا مكانًا ... تولى الجدب عن ذاك المكان

البندق :

اسم جمع وحدته بندقة. وإلى البندق أشار البيغاء بقوله فى وصف الجلاهق:

يخاطب فى الهواء الطيرُ منها ... بلفظ ليس يصدر عن لسان
فإن لم تصغ أردتها بطعن ... ينوب الطين فيه عن السنان

(١) مرنان: ترن وتصوت.

وقد أوضح هذا الوصف الأديب أبو إسحاق الصابى فى قوله:

أقبلت رفقة الرماة وهى تحمل من البندق الملموم، ماهو فى الصفة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم، وقد اختير طينه وملك عجينه، فهو كالكافور فى اللمس والمنظر، وكالعنبر الأذفر فى الشم والمخبر، مأخوذ من خير مواطنه، ومجلوب من أطيب معادنه، فهو كافل بمطاعم حامليه، محقق لآمال آمليه، ضامن لحمام الحمام، متناول لها من أبعد مرام، يعرج إليها وهو سم ناقع، ثم يهبط وهى رزق نافع.

البندقيـة:

وإلى البندق الذى أشار إليه أبو إسحاق مأخوذًا من الطين أو مسوى من الحجر - نسبت البندقيات ولا تزال تنسب إليه، فى حين أنها لا ترمى بالبندق عن طريق الوتر، ولكنها ترمى بالرصاص أو النحاس من طريق البارود. وهذه البندقيات تجرى فى بابى الصيد والحرب مجرى القسى والسهام.

وقد مر تاريخ البندقية بمراحل عدة منذ القرن الخامس عشر الميلادى وكان أهمها بندقية اليد، وبندقية الفتيلة، والبندقية ذات العجلة، والبندقية ذات الكبسولة.. ثم لما جاء القرن التاسع عشر تقدمت فيه صناعة البندقيات حتى سماه بعض المؤرخين عصر البندقية الزاهر. ففيه ظهرت البندقية التى تعبأ من الخلف، كما تقدمت صناعة الرصاص، وكما اخترعت عدة بنادق. وفى خلال الحرب العالمية الثانية، ظهرت بندقية تمتاز بعدة خصائص فنية.

وهناك ضرب من الأسلحة النارية ذوات أنابيب خاصة تطلق عددًا من الطلقات الصغيرة إلى مدى قصير تنتشر معه الحبيبات الرصاصية عند انطلاقها فى صورة دائرة واسعة. وهناك أيضًا سلاح نارى يُعرف ببندقيات

الرش وهو يطلق عددًا من الطلقات الصغيرة، تنتشر معه حبيبات رصاصية فى شكل دائرة وسيعه، كما أن هنالك بندقية تدعى بندقية الهواء وهى أنبوبة مجوفة يقذف منها رمح أو سهم بالنفخ الشديد ويستخدمها سكان شمالى إفريقيا الجنوبية ويعرفها بعض قبائل الأمازون وغيانا والملايو وإندونيسيا وبعض قبائل الهنود الحمر فى شرقى أمريكا الشمالية. هذا ما ذكرته الموسوعه العربية الميسرة. وعلى أنها موسوعة عربية، لم تتعرض بالإشارة إلى سبق العرب فى اختراع الأسلحة النارية واستعمالها، فى حين أن الأستاذ العلامة جوستاف لوبون كان أشد وفاء للعرب وأعظم إحاطة بحقائق التاريخ، إذ قال ما نؤثر أن ننقله بنصه.

جرى المؤرخون على الرأى القائل بأن المعركة الأولى التى استعملت فيها المدافع هى معركة كريسى[1] التى وقعت سنة ١٣٤٦م بين إنجلترا وفرنسا ونتصرت فيها إنجلترا.

قال الأستاذ العلامة المنصف والحقيقة هى ما أثبته المؤرخون العرب فى مؤلفاتهم من النصوص الكثيرة التى تدلُّ على أن استعمال المدافع وقع قبل تلك السنة بزمن طويل.

ومن ينظر إلى المختارات المقتطفة من المخطوطات التى ترجمها (كوندە). يجد - على الخصوص - أن الأمير يعقوب حاصر زعيم ثوار فى مدينة المهدية بإفريقيا سنة ١٢٠٥، وأنه ضرب أسوارها بمختلف الآلات والقنابل.. أى أنه ضربها بآلات لم يرها الناس قبل ذلك.. فكانت كل واحدة منها قذائف كبيرة من الحجارة وقنابل من الحديد، فتسقط فى وسط المدينة.

وتثبت مخطوطات ذلك الزمن أن الأسلحة النارية شاعت بين العرب

---

(١) كريسى: بلدة صغيرة شمال فرنسا

بسرعة، وأنهم استخدموها للدفاع عن مدينة الجزيرة التى هاجمها الأدفونش الحادى عشر سنة ١٣٤٢م.

وجاء فى تاريخ الأدفونش الحادى عشر: «أن مغاربة المدينة كانوا يقذفون كثيرًا من الصواعق على الجيش فيرمون عليه عدة قنابل كبيرة من الحديد كالتفاح الكبير، وذلك إلى مسافة بعيدة من المدينة فيمر بعضها من فوق الجيش، ويسقط بعضها عليه».

وحضر كونت دربى وكونت سالسبورى الإنجليزيان ذلك الحصار، وشاهدا نتائج استخدام البارود، ونقلا ذلك الاختراع إلى بلادهم من فورهم، واستخدمه الإنجليز فى معركة كريسى بعد ذلك بأربع سنين.

ونجد فى المخطوطات العربية بيانًا بتركيب ما كان العرب يستخدمونه من البارود والأسلحة الناريه وإليك النص الطريف الذى ورد فى مخطوط كُتِب فى أواخر القرن الثالث عشر من الميلاد، فترجمه رينو: «وصف للذخيرة التى تدك فى المدافع مع بيان نسبتها - تؤخذ عشرة دارهم من ملح البارود ودرهمان من الفحم ودرهم ونصف درهم من الكبريت، وتسحق حتى تصبح كالغبار، ويملأ منها ثلث المدفع فقط، خوفًا من انفزاره، ويصنع الخراط من أجل ذلك مدفعًا من خشب تناسب جسامته فوهته وتدك الذخيرة فيه بشدة، ويضاف إليها إما بندق، وإما نبل، ثم تشعل، ويكون قياس المدفع مناسبًا لثقبه، فإن كان عميقًا أكثر من اتساع الفوهة، بدا ناقصًا».[1] انتهى بحروفه.

---

(١) حضارة العرب للأستاذ جوستاف لوبون.

المطارد:

جمع، مفرده مطرد - على مثال منبر - وهو رمح قصير يطعن به الصائد طرائده من حمر الوحش.

قال صاحب الأساس: خرج فلان يطرد حمر الوحش، أى يصيدها، وبيده مطرد أى رمح قصير يطعنها به.

وربما استعمله المحاربون فى الحرب كما أسار إلى ذلك جار الله بقوله فى الأساس: خرجوا وبأيديهم المطارد والرايات. كما قال الشاعر:

أبا مالك لا تنطق الشعر بعدها ... واعطالقياد القائدين على كشر[1]

فنحن تركنا تغلب ابنة وائل ... كمنكسر الأنياب منقطع الظهر

ولولا الفرار كل يوم وقيعة ... لنالتك زرق من مطاردنا الحمر[2]

الأشراك:

جمع، مفرده شرك، وهو حبالة الصائد يرتبك فيها الصيد. وفى صفه عمر رضى الله عنه: «هو كالطير الحذِر يرى أن له فى كل طريق شركًا».

وقد يطلق الشرك ويراد به الحبالة التى تنصب للحمر الوحشية كما فى المثل: «إن ذهب عير، فعير فى الرباط» يعنى إن ذهب حمار وحشىّ فلم يعلق بالحبالة فاقنع بما وقع فيها، وهم يضربونه مثلًا للرضا بالحاضر وترك الغائب، كما ذكر الميدانى.

---

(١) ذكر بعده الأساس فى الضحك وغيره

(٢) حسب أن الأستاذ الخانى جمع شعر الرعى لم يقع على هذا البيت الذى رواه صاحب الأساس فى مادة طرد ولعله لو وقع عليه لاضافه إلى البيتين الذين رواهما للراعى.

وقد يطلق الشرك ويراد به الحبالة التى تنصب للظباء. على ما روى صاحب «البيزرة» فى الصيد بالحبالة:

لما غدا القانص فى غداته ... غدوّ مغوار إلى غاراته
يحمل ما يحمل من أداته ... من شرك أوثق أنشوطاته
وناط أوتادًا إلى حافاته ... تأنق الكاتب فى واواته
إذا لواهن على مشقاته[1] ... يغتال، والغيلة من عاداته
ظبى فلاة القفر فى فلاته ... مبتغيًا للصيد من مبغاته
وقفت أستمتع من مرآته ... إذ لذّنى فى الصيد من لذاته
حتى رأيت العفر[2] من عناته ... محمومة الحين مقدراته

مشدودة الإسار موثقاته

وقد يطلق الشرك ويراد به مصيدة الطير كما قال الشاعر:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها[3] شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

كفة الحابل:

هذه المادة فى اللغة تشير إلى الحصر والضبط تقول: كففته عن الشر فكفَّ هو عنه. وإنه ليكفكف دمعه: يمسحه مرة بعد مرة ليرده. وهو فى كفاف من العيش: ما يكفّ عن الناس ويغنى عنهم. وليتنى أنجو من هذا الأمر كفافًا لا لى ولا علىّ.

---

(١) المشقة. موضع الحبل من رجل الدابة.
(٢) العفر. الظباء.
(٣) عزها. غلبها.

وكفه الحابل هي الحفيرة التي تُنصب الحبائل فيها لأنها تجعل كالطوى، قال الطرماح بن حكيم في أبيات الحماسة.

لقد زادني حبًّا لنفسي أنني ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وإني سقى بالشام ولا يرى ... سقيًّا بهم إلا كريم المعاشر
إذا ما رأى قطع الطريق بيمه ... وبنى فعل المعارف المتجاهل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل

قال الخطيب التبريزي: يقال: ملأت عليه الأرض إذا ضيقتها عليه، وملأت منه الأرض: إذا قمت وقعدت بذكره. والحابل ناصب الحبالة، يقال: حبلت الصيد وحتبته إذا أخذته. وقد توسّعوا فيه فقالوا: احتبله الموت بحبالته. والكفة يجوز أن يريد بها الحفيرة التي تنصب الحبائل فيها لأنها تجعل كالطرق، وهذا أقرب لأن الخليل فسر الكفة على ذلك ومنه في المعنى قول الآخر.

كأن فجاج الأرض وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل
يؤتى إليه أن كل سبيلة ... تيمّمها، ترمي إليه بقاتل

البايكير:

كلمة فارسيه مركبه من لفظين «بای وكير» بمعنى جانب الطير، وهو مصيدة تحبك بالحبال عيونًا كعيون سمكة صيد السمك، وتجعل على شكل سلة كبيرة مقلوبة على فمها. وقد جُعل فيها بابان: خارجي وداخلي. فالخارجي يراه كل ناظر اليه، وأما الداخلي فيكون في مثل دهليز يمتد من الباب الخارجي وينفتح على عين الطائر أو يسره فيدخل من الباب الخارجي حتى

إذا صار فى الدهليز بحث عن الباب الآخر فيجده يمينًا أو شمالاً. فيلجه ذاهبًا إلى بطن السلة. فإذا حاول الخروج، لم يجد السبيل إليه[١].

التدبيق :

هو الاصطياد بالدبق. والدبق - غِراء يصاد به الطير. قال جار الله: أخذته فتدبَّق، أى تلزج، من الدبق وهو حمل شجرة فى جوفه كالغراء، يلزق بجناح الطائر فيصاد، يقال: دبقت الطائر تدبيقًا، ودبقته دبقًا، بمعنى اصطدته بذلك.

وقد انتفع أهل الصناعة من الغربيين بالدبق فاستحدثوا أوراقًا مغرَّاة يتهافت عليها الذباب فيقع عليها ثم لا يستطيع الإفلات منها.

البوظـة:

هى شراب مسكر معروف فى مصر وفى السودان، يستوى فى السكر به الإنسان والحيوان. ولعل من الغريب أن يكون هذا الشراب وسيلة صيد. ولهذا ترددت كثيرًا فى ذكره بين وسائل الصيد. ولولا أن الذى أخبرنى به ثقة مأمون الحديث[٢]، ما أبحت لنفسى أن أرويه فى هذا المقام.

كنا فى السودان الشقيق عام ١٩٥٣ وقد قضينا فى هذه الرحلة شهرين أو أكثر. زرنا فيهما السودان شماله وجنوبه وشرقه وغربه.

وفى غابات الجنوب - كما هو معروف - تكثر الحيوانات على اختلاف أصنافها وأنواعها ومن بينها القردة والنسانيس.

---

(١) عن الأب انستاس الكرملى فيما روى الأستاذ هارون.

(٢) لعله الأستاذ الرميلى محمد أمين المحامى بالخرطوم.

وقد تحدث إلينا عن طريقة صيد النسناس زميلنا المفضال، فذكر أن الصيادين فى الغابات يعرفون مدى عشق النسناس لثمرة الأناناس، فيأتون بالبوظة ويضعونها فى أوان قريبة من هذه الثمرة، فتأتى النسانيس فتأكل منها ثم تشرب من البوظة فتسكر، فإذا سكرت استلقت على الأرض وقد بلغ بها السكر غاية مداه، فيجىء الصادة ومعهم شباك يطرحونها عليها ليأخذوها صحيحة غير كسيرة ولا جريحة.

قال الأستاذ المفضال وهو يستعين بالحركه على إيضاح الصورة: وإذا سكر النسناس فاستلقى على الأرض مخمورًا ثم أحس الصادة قادمين بشباكهم، فإنه يرفع رسأه ويفتح عينيه، يتهيأ بذلك للفرار، فيغلبه السكر، فيرتمى على الأرض، ثم تستحثه غريزة حب الحرية، فيحاول مرة أخرى وثالثة ورابعة، وهو فى كل ذلك يبوء بالعجز، لأن البوظة وقد أثقلت أعضاءه فلم يعد قادرًا على الحركة، بل أن يكون قادرًا على النجاء.

وقد كنت وأنا أستمع لهذا الوصف الدقيق، أتمثل صورة سكران غنته قينة بشعر وُصف به ونظم فيه:

دعوته وهو حى لا حراك به ... مكفن فى ثياب من رياحين
أقول قم. قال رجلى لا تطاوعنى ... أقول خذ. قال كفى لا تواتينى
إنى غفلت عن الساقى فصيرنى ... كما ترانى سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضًا قد وهى جسدى ... ولا أجيب المنادى حين يدعونى

وليس من المستنكر، أن يكون الحيوان يسكر. بل ليس شىء منه إلا وهو يسكر على ما ذكر الجاحظ - رحمه الله - حيث قال:

واختلاف سكر الحيوان كاختلاف سكر الإنسان، فإن من الناس من تراه

يتحدث وهو يشرب فلا تنكر منه شيئًا حتى يغلب عليه نوم السكر ضربة واحدة، ومنهم من تراه والنبيذ يأخذ منه شيئًا حتى يغلب عليه نوم السكر ضربة واحدة، ومنهم من تراه والنبيذ يأخذ منه شيئًا فشيئًا وتراه كيف تثقل حركته ويتمحَّق، حتى يطيش عليه السكر بالعبث لا يعدوه، ومنهم من لا يرضى بدون السيف وإلا بأن يضرب أُمه ويطلق امرأته، ومنهم من يعتريه البكاء، ومنهم من يعتريه الضحك، ومنهم من يعتريه الملق والتفدية والتسليم على المجالس والتقبيل لرءوس الناس، ومنهم من يرقص ويشب. ويكون ذلك على ضربين: أحدهما: ذهاب العقل والاسترسال فى المرح، والآخر، تحريك المرارة التى هى علة الفساد وهيجان الآفة.

وكل هذه الحالات والصور والنعوت والأجناس والتوليد الذى يختلف فى طبائع الناس وطبائع الأشربة وطبائع البلدان والأزمان والأسنان، وعلى قدر الأعراق والأخلاق، وعلى قدر القلة والكثرة، وعلى قدر التصريف والتوفيق، كل ذلك قد وجدوه فى جميع أصناف الناس والحيوان، إلا أن فى الناس واحدة لم توجد فى سائر الحيوان قط، فإن فى الناس من لا يسكر البتة.

والسبب فى أن الناس عرفوا سكر البهائم، أن بعض المترفين كان يشرب ويسقى الإبل والجواميس والبقر والخيل العتاق والبراذين. فلما فرغ من كل عظيم الجثة واسع الجوف، صار إلى الشاء وإلى الظباء، ثم صار إلى النسور والكلاب وابن عرس، ثم احتال لأسد مقلم الأظفار فسقاه وعرف مقداره فى الاحتمال. وقد ذكر بعد هذه التجارب، أنه لم يجد بين هؤلاء جميعًا أملح سكرًا من الظباء.